بحث بعنوان

نشأة النحو العربي وأثر الثقافات الوافدة

د. إبراهيم محمد فضيل

عضو هيأة التدريس بقسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم المرج- جامعة بنغازي- ليبيا

الملخص:

كان لظهور النحو العربي على يد سيبويه الفارسي ردود فعل كثيرة بدأها يون بن حبيب، وانتهت عند بعض المستشرقين في العصر الحديث الذين رفضوا فكرة نشوء النحو العربي بهذه الطريقة المفاجئة في كتاب أحاط المسألة من جميع جوانبها دون أن يكون هناك مقدمات تؤسس لكتاب كامل ككتاب سيبويه، وذهبوا إلى القول بوجود مؤثرات أجنبية أفاد منها سيبويه، وكان لها دور في ظهور كتاب مثل كتاب سيبويه، ولم يقف هذا التشكيك في صحة نسبة النحو إلى الفكر العربي عند هؤلاء المستشرقين بل تعدّاها إلى بعض الكتاب والمؤلفين العرب الذين ذهبوا إلى القول بوجود روافد أجنبية كان لها دور بارزٌ في نشأة النحو العربي، وقد عنّ لي أن أتناول هذه الآراء، وأفردها ببحث أجمع فيه أبرز هذه الآراء، وأقوم بالرد عليها وفق المنهج العلمي بعيداً عن التحامل، أو التحيز.

مفاتيح البحث: النشأة، التأثر، التأثير، التشكيك، الأصالة.

Abstract.

The appearance of the Arabic grammar at the hands of Sebwayh al-Farsi had many reactions, which were started by Younis bin Habib, saying, "And when all this was heard from Hebron" (Seaboyeh), but this doubt was not solved when Yunus looked at Seaboyeh's book. The man has believed in Hebron in all what he thought as he believed in what he had told me about "(), and ended when some of the modernists in the modern era who rejected the idea of the emergence of Arabic grammar in such a sudden way in the book took the matter from all avenues without there are introductions establishing a full book as a book Seabway. They went on to say that there were foreign influences that benefited Seboyeh, and had a role in the emergence of a book such as Seboyeh book, and did not stop this skepticism about the correct proportion of grammar to the Arab thought of these orientalists, but to some writers, and Arab authors who went on to say that there were foreign tributaries was Has a prominent role in the emergence of Arabic grammar. It is for me to address these views, and singled out them to discuss the most important of these views, and I respond to them according to the scientific method away from bias or prejudice.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد، وعلى آله، والسلام على أصـــحابه، وأتباعه، ومن نهج نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:::

فقد كان لظهور النحو العربي على يد سيبويه الفارسي ردود فعل كثيرة بدأها يونس بـــن حبيب بقوله: "ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل"[1] غير أن هذا الشك لم يلبث أن زال عندما نظر يونس في كتاب سيبويه، فقال-بعد ذلك- معلقاً "يجب أن يكون هذا الرجل قد صـــدق عـــن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني"[2]، وانتهت عند بعـــض المستشـــرقين فـــي العصر الحديث الذين رفضوا فكرة نشوء النحو العربي بهذا الطريقة المفاجئة في كتـــاب أحـــاط المسألة من جميع جوانبها دون أن يكون هناك مقدمات تؤسس لكتاب كامل ككتاب سيبويه.

وذهبوا إلى القول بوجود مؤثرات أجنبية أفاد منها سيبويه، وكان لها دور في ظهور كتاب مثل كتاب سيبويه، ولم يقف هذا التشكيك في صحة نسبة النحو إلى الفكر العربي عنـــد هـــؤلاء المستشرقين، بل تعدّاه إلى بعض الكتاب، والمؤلفين العرب الذين ذهبوا إلى القول بوجود روافـــد أجنبية كان لها دور بارز في نشأة النحو العربي.

والملاحظ أن مسألة التشكيك هذه كانت قد اجتاحت التراث العربي بكامله، ولم يكن دافـــع هذه الحملة مبنياً على قواعد علمية، أو مرتكزاً على استنتاجات منطقية؛ وإن بدا للقـــارئ لأولـــة وهلة ذلك، ولكن بمجرد الخوض فيها، وسبر أغوارها يجدها لا تثبت عند التمحيص، والتدقيق.

وبعد أن اطلعت على هذه الآراء المختلفة التي أثارت الشكوك حول نسبة وضع النحو إلى الفكر العربي الخالص، وحول ما ثار حول هذه المسألة من أخذ، ورد عنّ لـــي أن أتنـــاول هـــذه

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مكتبة خياطر، بيروت، لبنان: 16/ 117.

(2) ياقوت الحموي 16/ 117.

الآراء، وأفردها ببحث أجمع فيه أبرز هذه الآراء، وأناقشها وأسبر غورها، وأقف على حقيقة هذه المسألة التي أثارها فريق من الكتاب وفق منهج علمي بعيداً عن التحامل، والتحيز.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى جمع أبرز الآراء التي أثارت الشكوك حول صحة نسبة النحو العربي، والرد عليها وفق المنهج العلمي.

منهج الدراسة:

دراسة نقدية تحليلية تقوم على جمع الآراء حول المسألة، ومناقشتها، والرد عليها.

وقد قمت بتقسيم البحث بعد المقدمة على النحو التالي:

المبحث الأول: أسباب نشأة النحو العربي، وفيه استعراض للدوافع، والأسباب التي أدت إلى ظهور هذا العلم، علم النحو.

المبحث الثاني: التشكيك في أصالة النحو العربي أسبابه، ودوافعه.

المبحث الثالث: مناقشة هذه الآراء، والرد عليها.

الخاتمة: وفيها أبرز ما توصل إليه الباحث من نتائج.

والحمد لله على ما أولى، وبه نستعين ونتوكل في كل حين.

المبحث الأول: أسباب نشأة النحو العربي.

كانت "معارف العرب في الجاهلية تقتصر على الشعر، وحفظه، والخطب وروايتها، وأخبار حروبهم وأيامهم، والتفاخر بأنسابهم"[3].

---

[3] محمد حسين آل ياسين (1400هـ–1980م) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص 53.

وقد عُدّ الشعر ديوان العرب؛ فهم أمة ليس لها حظٌ من الكتابة، والقراءة غير نفر معدودين، واعتمدوا المشافهة، والرواية والحفظ في نقل الأشعار، والأخبار، وظلت هذه الصفات ملازمة لهم في الصدر الأول من الإسلام، فنقلوا النصوص القرآنية إلى جانب كتابتها، والأحاديث النبوية بالمشافهة، والرواية إلى أن جُمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر الصديق ونمت علوم، وترعرعت في كنف القرآن الكريم؛ لعل أهمها علم التفسير على يد بعض الصحابة الأجلاء، وبعض التابعين الذين أخذوا علمهم عن هؤلاء الصحابة، وكانوا في أثناء تفسيرهم لألفاظ القرآن الكريم، وآياته إذا استغلق عليهم معنى بعضها لجأوا إلى كلام العرب، وأشعارهم ينشدون المعنى فيهما.

في الوقت ذاته كانت رقعة الدولة الإسلامية تتسع، وتترامى أطرافها، ودخلت أمم من غير العرب في الإسلام، واتجهت إلى تعلُّم اللغة العربية التي هي لغة الدين الجديد؛ ليتمكنوا من أداء فرائض دينهم، غير أن هذا الحرص لم يمنعهم من الوقوع في اللحن، وامتد خطر اللحن إلى القرآن الكريم، فقُرئت آيات بغير الوجه الذي أُنزلت به، فقد جاء في نزهة الألبّاء "أن سبب وضع علي بن طالب لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ {لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئِينَ} الحاقة37 فوضع النحو"[4]، وجاء في إنباه الرواة أن "زياداً سمع بشيء مما عند أبي الأسود، ورأى اللحن قد فشا؛ فقال لأبي الأسود: أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً. فامتنع من ذلك، وسأله الإعفاء، حتى سمع أبوالأسود قارئاً يقرأ { أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}التوبة3، بجر كلمة (رسوله) فقال: ما ظننت أمر الناس وصل لهذا، ورجع إلى زياد وأجابه إلى ما طلب"[5].

وتُرجع بعض الروايات زمن وضع النحو إلى عهد عمر بن الخطاب، وكان الخطأ الذي دفع عمر بن الخطاب إلى إصدار أمره إلى أبي الأسود بوضع النحو هو ذاته الذي حدا بأبي

---

(4) أبوالبركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء الأنباري (1405هــ– 1985م) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: دكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة ص 19.

(5) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة إلى أخبار النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب والثقافة، بيروت، لبنان 1/ 5،

الأسود إلى وضع النحو في زمن زياد، وهو لحن القارئ في قراءة آية التوبة { أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}بجر كلمة (رسوله)[6] .

ولسنا معنيين هنا بتحقيق أيٍّ من هذه الروايات هو الصحيح، فما يهمنا منها هو إجماعهم على أن سبب وضع النحو فشوّ اللحن في قراءة القرآن الكريم، هذا اللحن لاحظه ولاة الأمر، ووقفوا عليه ففزعوا إلى القرّاء يطلبون منهم البحث عن وسيلة يحفظون بها لغة القرآن الكريم مما شابها من اللحن، يقول أبو عمرو الداني في كتابه نقط المصحف " غن الذي دعا السلف – رضي الله عنهم– إلى نقط المصحف ما شاهدوه من أهل عصرهم مع قربهم من زمن الفصاحة، ومشاهدة أهلها من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتغيُّر طباعهم ودخول اللحن على كثير من خواص الناس، وعوامهم"[7].

وكان لا بد من إسناد هذه المهمة الجليلة إلى عربي حافظ لكتاب الله تعالى لا مطعن على فصاحته؛ فكان أبو الأسود الدؤلي صاحب هذه المهمة العظيمة، وقد اختار كاتباً حَذِقاً ليقوم بنقط المصحف، فكان كاتبه عربياً أيضاً من بني عبد القيس[8]؛ إذ أن ملاحظة اللحن في هذه الفترة لم تكن تتأتى لغير العربي، فهو صاحب الشأن، والمعنيّ بما يحدث في اللغة من فساد بما أُوتي من سليقة تنافر بطبعها " سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف عليه من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فُشوٍّ ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذرُ من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه"[9]

واستطاع أبو الأسود وكاتبه أن يقوما بما أُوكِل إليهما خير قيام لم ينازعهما في ذلك أحد، ولا شك أحد في مقدرتهما على ذلك، واُعتمد عملهما من ولاة الأمر، فكان النواة الأولى لنشوء

---

(6) أبوالبركات عبدالرحمن الأنباري ص 19– 20.

(7) أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني (1379هـ– 1960م) المحكم في نقط المصحف، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، سوريا، ص 19.

(8) أبوالبركات عبدالرحمن الأنباري ص 20.

(9) محمد بن الحسن الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ص 11.

النحو العربي؛ وبذلك نقل أبو الأسود الدؤلي الحركات من المشافهة غير المرئية إلى نقط ملاحظ في الكتابة، ونشأ عن ذلك التساؤل عن سبب اختلاف النقط في بعض المواضع، واختلافه في مواضع أخرى، وبدأ البحث عن الأسباب الكامنة وراء اختلاف النقط في بعض المواضع، وتشابهه في مواضع أخرى، وبدأ من خلال هذه الملاحظات يتشكل بنيان النحو العربي، وأُسست قواعده الأولى باستنباطات بدائية بعيدة عن التعقيدات، وقد أظهر كثير من علماء الاجتماع المعاصرين كيف أن شكلاً من أشكال التفكير الجمعي، وهو الدين كان النواة الأولى للعلم ومن هؤلاء (درو كايم ومدرسته، وأوجست كونت)[10] فكما أن "الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني قد دعا إليهما نهضة شاملة، وحضارة عريقة فإن النحو العربي قد دعا غليه دين جديد ناشئٌ، وعقيدة قوية ثابتة، ونهضة شاملة"[11] وهذا تماماً ما حدث في البيئة العربية فقد دفع القرآن وتفسيره العلماء إلى التعمق في اللغة ودراستها[12]، وضبط أصولها، فكانت الرحلة إلى البوادي لمشافهة الأعراب، والأخذ عنهم، "وبذلك لم يصادف نحو ما صادفه النحو العربي من عناية؛ لأنه أداة لفهم الكتاب والسنة"[13].

مما سبق يتضح لنا أن النحو العربي نشأ في ظلال القرآن الكريم، فقد كانت البداية بنقط المصحف، ومن خلال مشاهدة اختلاف مواضع النقط نشأ التساؤل عن سبب هذا الاختلاف، والبحث عن علله.

المبحث الثاني: شبهات حول صحة نسبة النحو إلى الفكر العربي.

---

(10) محمد مصطفى الشعبيني(1974) دراسات في علن الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص:17.

(11) عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة، ض: 102.

(12) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمه وعلق عليه، محمد عبدالهادي، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الخامسة، ص 37.

(13) إبراهيم بيومي مدكور (1953) بحث بعنوان (منطق أرسطو والنحو العربي) مجلة مجمع اللغة العربية 338/9.

لم يتعرض أيّ تراث لما تعرّض له التراث العربي من حملة أثارت الشكوك في كل شيء يُنسب إلى العرب، إذ لم يكن لهؤلاء المشككين ثقة في مقدرة العقل العربي، ويرون أن العقل العربي قاصر لا يمكنه البحث، أو التقصي و" أن المدنية الإسلامية أقل من أن يُعتنى بدراستها إذ ليست تقليداً فقط، وإنما هي تقليد مشوه لمدنيتي اليونان والرومان"[14]، فالحضارة الإسلامية ليست تقليداً فقط، وغنما هي تقليد مشوه فالعربي " قد أثبت أن لا طاقة له على استقصاء البحث بصورة جدية، ولا قدرة له على إبداع شيء من عنده"[15] فالعقل العربي عقل جامد لا قدرة له على إبداع شيء، أو استيعابه فهو "لا يتقن من العلوم إلا التي لا تحتاج إلى عناء، أو تفكير، أو مشقة في البحث ... كالتاريخ والجغرافيا، وما إليهما"[16]، وهذا ما يؤكده المستشرق بارتولد عند حديثه عن علوم العربية إذ يقول "لكن لم يكن أكثر هؤلاء الواضعين للعلوم العربية أيضاً من العرب بل كانوا أعاجماً"[17].

ويبدو أن أندروسيرفر، وبارتولد قد نظرا إلى حياة البدو في الجزيرة العربية على أنها حياة تقوم على السذاجة، والبساطة، وأن مثل هذه الحياة لا ترقى بعقلية أصحابها إلى استيعاب مثل هذه العلوم، والإبداع فيها إلا أن (ديلاس أوليري) يخالفهما الرأي، ويرى أن طور البداوة طور طبيعي تمر به أي أمة في طور تمدنها، وتطورها فــ"إن كانت المجتمعات السامية فيما عدا العرب قد استقرت هذا الاستقرار قبل القرن السادس الميلادي ... فإن القرآن الكريم عمل على توحيد قبائل الحجاز ... وانضوت هذه القبائل تحت لواء الدين الجديد، وأنهى الإسلام كل مظاهر الحياة البدوية"[18]، ولم نجد في التاريخ أمة ولدت متحضرة، فطبائع الأشياء تمنع ذلك، والإنسان

---

(14) أندرو سيرفر (Andre Srevier) (1375- 1975) مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 24، السنة الرابعة، ص 8.

(15) أندرو سيرفر 8.

(16) أندرو سيرفر 8.

(17) محمد حسين آل ياسين 89.

(18) ديلاس أوليري، الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص 76 وما بعدها.

بدائي بطبعه، والحضارة أمر طارئ عليه، والماضي والحاضر يريانا كيف أن أمم كانت في قمة الحضارة انتكست، وأمماً كانت في طور البداوة تعالت وتسامقت في الحصارة.

وتبادل الثقافات بين الحضارات أمر مشروع "فلا يعيب أي أمة أن تتأثر، ولا بد لها أن تؤثر إذا كانت أمة فعّالة خلاقة مبدعة، والأمة العربية من الأمم الفاعلة الخلاقة فكان لا بد لها أن تتأثر بغيرها من الأمم، وأن تؤثر، هذا ما تقتضيه طبيعة الأشياء، وما يؤكده منطق الحضارات"[19]، فلم تكن الأمة العربية بمعزل عن غيرها من الأمم، والتأثر، والتأثير أمر وارد، فقد أخذت الأمة العربية، وأعطت، واختصت بأشياء لم توجد في غيرها من الحضارات، فلكل أمة خصائصها، وثقافتها. يوجد التشابه في بعضها نعم، لكن تظل هناك ميزات تحدد هوية كلٍّ منها، وتتجدد أسباب ودوافع في حضارة ما تكون سبباً في نشوء علم لم يُعرف عند غيرها، وإبداع العلوم وتطورها ليس حكراً على أمة دون أمة.

ولو وقف المستشرقون ومن تبعهم عند هذا الحد لأجزنا ذلك، فلا يعيب الحضارة أن تؤثر، وتتأثر بغيرها، ولكن أن يكون هذا الزعم سبباً في طمس هوية الثقافة العربية، والبحث عن أصول لها في الثقافات الأخرى أمر يعوزه الكثير من الإنصاف، والدقة.

والنحو العربي، وما تبعه من دراسات لغوية كان هدفاً لسهام هؤلاء المستشرقين، ومن تبعهم، يقول عبدالرحمن السيد "ومن العجيب أن يكون هذا الموضوع موضع جدل، ومثار نقاش بين بعض العلماء لا لشيء إلا لأن المستشرقين لم يقبلوا هذه الرويات"[20].

فبعض البحاث العرب قد قبلوا ما قبله المستشرقون، وأخذوا من تضارب الروايات مدخلاً لإثارة الشكوك، والجدل حول صحة نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود، ورأوا فيها تزيداً من الرواة، فالروايات التي تنسب وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي قد حيكت في العربية على نمط حكاية هندية –كما يرى أحمد أمين– ويذهب إلى المقارنة بين ذهاب العالم الهندي إلى (مهاديو)

---

[19] د. شعبان عوض العُبيدي (1989) النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ص 263.

[20] عبدالرحمن السيد 53.

مصلياً مسبحاً، وبين ذهاب أبي الأسود الدؤلي إلى علي بن أبي طالب يسأله المعونة في وضع النحو[21]، وهو يخشى –كما يقول– من أن يكون للشيعة –الذين أرادوا أن ينسبوا كل شيء لعلي بن أبي طالب– يد في وضع هذه الروايات ونسبتها إلى علي، ويأخذ من تعدد الروايات، وتضاربها دليلاً على ما يقول[22].

ولا يستبعد الدكتور شوقي ضيف أيضاً أن يكون للشيعة يد في نسبة النحو إلى علي بن أبي طالب "وكأنهم رأوا أن يضيفوا النحو إلى شيعي قديم، فارتفع به بعضهم إلى علي بن أبي طالب، ووقف به بعضهم عن أبي الأسود صاحبه الذي كان يتشيع له"[23].

وبسبب رفضهم لهذه الروايات، والتشكيك في صحتها فقد بدأوا يبحثون عن روافد، أو مؤثرات أدت إلى نشوء النحو العربي، وهم في ذلك كما يقول ليتمان في محاضراته "لم يتفقوا – أي الأوربيين– في أصل هذا العلم فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى العرب، وقال آخرون ليس كذلك[24]، فدي بور مثلاً يرى "أن العلوم المسماة علوم العرب ليست من مبتكرات العرب الخالصة"[25]، ويقول: "والعرب ينسبون إلى علي بن أبي طالب وضع النحو ... وينسبون إليه تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أقسام"[26]، ويرى أيضاً أن "اللغة العربية فيها جمال البيان وقوة الدلالة لم تتهيأ الدواعي فيها إلى أبحاث كثيرة إلا عندما صارت لغة العلم عند السريان والفرس"[27].

---

(21) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة 1/ 245.

(22) أحمد أمين، ضحى الإسلام 2/ 285.

(23) شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة، ص 15.

(24) محمد طنطاوي (1995) نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ص 22.

(25) دي بور 52.

(26) دي بور 54.

(27) دي بور 53.

ويذهب المستشرق أوليري إلى القول بأن أبا الأسود تأثر في وضعه للنحو بمنطق أرسطو، ولم يتأثر بالنحاة الإغريق[28]، وعندما تحدث عن كتاب سيبويهوعظمته علّق قائلاً: "والذي يجب أن نشير إليه أنه لم يكن عربياً بل فارسياً، وقد ألف نحوه في أوائل حكم العباسيين[29].

وقد تلقّف هذه الدعوات، والآراء بعض البحاث العرب، وتضاربت في ذلك أقوالهم كما تضاربت آراء المستشرقين، فمصطفى صادق مثلاً يرى "أن دلالات الحركات لم تكن عند العرب بل اخترع أصولها اليونان"[30]، ويذهب جرجي زيدان أيضاً هذا المذهب، ويرى أن النحو العربي قد تأثر بالنحو السرياني يقول "يغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبويبه على منوال السريان –ويؤيد ذلك عنده– أن العرب بدأوا في وضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان، وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية"[31]، ويقول عن أبي الأسود الدؤلي "أما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالإجماع أبي الأسود الدؤلي(68هـ) ... وكأنه تعلّم لغة السريان واطلع على نحوها، فرغب في النسج على منواله"[32].

ويقول في موضع آخر "والأرجح أنه اقتبس –حركات الإعراب– من الكلدان، أو السريان جيرانه في العراق"[33]

وتذهب الدكتورة زاكية رشدي أيضاً هذا المذهب "فالسريانية – على حد قولها– أثرت على العربية في نشأة الحركات الإعرابية في فجر الإسلام التي يُنسب وضعها إلى أبي الأسود الدؤلي"[34] .

---

(28) أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان، ص 219.

(29) أوليري 219.

(30) عبد الرحمن السيد 96.

(31) جرجي زيدان (1957) تاريخ آداب اللغة العربية ، راجعه وعلق عليه، شوقي ضيف، دار الهلال، ص 251/1.

(32) جرجي زيدان 1/ 253.

(33) جرجي زيدان 1/ 153.

ويرى أحمد أمين أن قواعد العربية وضعت على نمط القواعد اللغة السريانية، ودليله في ذلك أن اللغتين أصل واحد؛ ولذلك نشأ النحو في البصرة أولاً، ثم بعد ذلك في الكوفة[35]، وعند حديثه عن حنين بن إسحاق قال: "إنه ذهب إلى بلاد الروم، وأجاد تعلُّم اليونانية، ثم عاد إلى البصرة ولازم الخليل بن أحمد يأخذ عنه العربية"[36] في إشارة إلى تأثر الخليل بحنين في وضع النحو، وهذا ما يؤكده إبراهيم بيومي مدكور في مقال نشرته مجلة مجمع اللغة العربية تحدث فيه بإسهاب عن النحو العربي وأثر المنطق الأرسطي فيه، ويرى أن العوامل المتصلة بنشأة النحو العربي لا تزال غامضة[37].

ويقول عن منطق أرسطو وبالتحديد عن المقالات[38]، والعبارات[39]، وأنالوطيقي الأولى[40] "إنها ...ترجمت إلى العربية منذ النصف الأول للقرن الثاني الهجري ... وقد ترجمها عبدالله بن المقفع، أو ابنه على خلاف في ذلك ... ولا بد أنها قوبلت بما يستحق من تقدير، غن من سيبويه، أو مَنْ سبقه ممن اشتغلوا بالمسائل النحوية"[41]، ويذهب إلى القول بتأثر النحو العربي بالنحو السرياني بمدرسة نصِّبين في القرن السادس الميلادي على يد يعقوب الرُّهاوي، ويقول عن حنين بن إسحاق إنه كان صديقاً للخليل[42].

ولا يرى إبراهيم بيومي ضيراً في "أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه، أو أن يساهم منطق أرسطو في التوجيه إليه"[43]، ويؤكد أن منهج أرسطو "ساهم في تكوين بناء النحو العربي

---

(34) د. زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ص 23.

(35) أحمد أمين (1933) فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 202.

(36) أحمد أمين، ضحى الإسلام، 283/1.

(37) إبراهيم بيومي مدكور(1953) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر 7 /339.

(38) المقولات: هي عشر مقولات تحدث فيها عن الجوهر والمتضادات والتقديم والتأخير.

(39) العبارة أو كتاب (باري أرميناس) يعرّف فيه جزئيات القضايا من اسم، وكلمة، وقول، ورباط.

(40) أنالوطيقي الأولى (كتاب القياس) تناول فيه أصول القياس ومبادئه.

(41) إبراهيم بيومي 340 – 341.

(42) إبراهيم بيومي 241.

(43) إبراهيم بيومي 342.

وأعان على رسم منهجه"[44]، ويرى أن القياس في النحو، والفقه عند العرب "تأثر بنوع من القياس عند أرسطو أهمله، ولم يستعمله فجاء العرب وأخذوه وطبقوه على علومهم"[45].

ويقول جرجي زيدان إن: "أول من باشر ذلك –أي وضع النقط أو النحو– يعقوب الرُّهاوي والعبر قد نسجوا نحوهم على منواله"[46]

ويؤكد دي بور صحبة الخليل لابن المقفع الذي "يسرّ للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية"[47].

بعد هذا العرض نستطيع أن نجمل هذه الآراء في النقاط التالية:

أولاً: الآراء القائلة بتأثير المنطق الأرسطي في النحو العربي، وممن ذهب إلى ذلك دي بور، وإبراهيم بيومي مدكور، وأوليري.

فدي بور يرى أن النحاة العرب قد تأثروا بالمنطق الأرسطي في تقسيم الكلمة إلى اسم، وفعل، وحرف، وهذا ما رآه إبراهيم بيومي أيضاً فأرسطو قد قسم الكلمة إلى اسم، وفعل في كتابه العبارة، وأشار إلى الأداة في كتابه طوبيقيا الأولى، ويقول "والغريب أن ما يسميه البصريون حرفاً يسميه الكوفيون أداة، وكأنهم شاءوا أن يحتفظوا بالمصطلحات المنطقيةاحتفاظاً تاماً"[48].

أما أوليري فيرى: أن النحاة العرب قد تأثروا بالمنطق دون أن يشير إلى وجه هذا التأثر، وينكر تأثر النحو العربي بالثقافة الإغريقية.

ثانياً: الآراء القائل بتأثير الثقافة السريانية، وممن ذهب إلى ذلك: مصطفى صادق، وزاكية رشدي، وأحمد أمين، وجرجي زيدان، وإبراهيم بيومي.

---

(44) إبراهيم بيومي 345.

(45) إبراهيم بيومي 243.

(46) جرجي زيدان 251/1.

(47) دي بور 39.

(48) إبراهيم بيومي 340.

فقد رأى مصطفى صادق، وزاكية رشدي، وجرجي زيدان، وإبراهيم بيومي: أن دلالات الحركات قد اخترعها السريان، وأن العرب قد اقتبسوها منهم، إلا جرجي زيدان الذي لم يستطع تحديد المصدر الذي اقتبس منه النحاة العرب الحركات، فهو يرى أن أبا الأسود اقتبس الحركات من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق، أما أحمد أمين فيُرجع تأثر العرب بالسريان إلى التشابه بين اللغتين.

ثالثاً: الآراء القائلة بتأثير الثقافة الهندية، والفارسية، ومن هؤلاء دي بور، وأحمد أمين.

فدي بور يرى: أن ابن المقفع سهّل للعرب الاطلاع على الثقافة الفهلوية، ويرى أحمد أمين: أن النحاة العرب تأثروا في وضعهم للنحو العربي بالنحو الهندي.

وقد ذهب بعضهم إلى تحديد شخصيات بعينها أخذ عنها النحاة العرب، فجرجي زيدان، وإبراهيم بيومي، يريان أن أبا الأسود الدؤلي قد أخذ نقط المصحف عن يعقوب الرُّهاوي الذي اخترع نقطاً للإنجيل عند السريان رآه أبو الأسود فنسج على منواله.

ويتفق كل من أحمد أمين، وإبراهيم بيومي، وأوليري على القول بصحبة الخليل بن أحمد لحنين بن إسحاق.

ويرى دي بور: أن ابن المقفع كان صديقاً حميماً للخليل بن أحمد، وقد يسر له الاطلاع على ما في اللغة الفهلوية من علوم.

المبحث الثالث: مناقشة هذه الآراء والرد عليها.

مما تجدر الإشارة إليه أن نشوء الدراسات اللغوية عند العرب أربك كثيراً من الباحثين، ونظروا إليها على أنها مستويات لا تناسب العقلية العربية، وشككوا في مقدرة العقل العربي على ابتكار مثل هذه العلوم، وقد رأينا كيف أنهم أرجعوا جذورها إلى أصول هندية مرة، وفهلوية مرة ، وسريانية أو يونانية مرة أخرى، وقد حاولوا أن يوجدوا أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه.

وذهبوا في ذلك شيعاً فلم نجدهم أجمعوا على رأي واحد، ولا استأنسوا في استنتاجاتهم إلى شيء يُطمأن إليه، وإذا كان تشكيكهم في نسبة وضع النحو إلى الفكر العربي سببه تعدد الروايات واختلافها ألا يكون اختلافهم هذا أيضاً سبباً في نسف استنتاجاتهم هذه وردها، والغريب في الأمر أن من ذهب منهم إلى رد هذه الروايات التي تنسب وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي استند إلى روايات بعيدة كل البعد عن الواقع، وتجنح في عالم الخيال؛ ليثبت أن الرويات التي تنسب النحو إلى أبي الأسود الدؤلي قد حيكت على نفس هذا النمط.

فالأستاذ أحمد أمين يشبه الإمام علي (بمهاديو) الذي أعطى "قوانين يسيرة في النحو للفيلسوف الهندي بعد أن تضرع إليه وابتهل عند"[49]، "وغاب عن الأستاذ أحمد أمين أن علي بن أبي طالب ليس شيئاً ما وراء الطبيعة فهو ليس شيئاً غيبياً ... وأبو الأسود لم يتضرع أمام علي بن أبي طالب ليستمد العون منه، وإنما خاطبه مخاطبة الرجل للرجل ... وهنا لا بد أن نفرّق بين السطورة، والرواية، فالأسطورة من صنع الخيال ولا واقع لها، أما الرواية فكما أن إثباتها يحتاج إلى دليل عقلي فكذلك إنكارها"[50]

ووقوع اللحن في اللغة الهندية أغضب شخصاً واحداً، أما في اللغة العربية فقد أزعج أمة بأكملها؛ لأنه يمس أخص خصوصية لهذه الأمة ألا وهو القرآن[51] الذي أصبح دستوراً لها.

ولم يقف الأستاذ أحمد أمين عند هذا الحد بل وجدناه يطلق سهامه في كل اتجاه، وكيفما اتفق، فيعد أن طعن في الروايات وافق القائلين بتأثير الثقافة السريانية في النحو العربي، ودليله على ذلك أن اللغتين من أصل واحد، وأن النحو نشأ أولاً في البصرة، ثم بعد ذلك في الكوفة[52].

وهذا استنتاج يقوم على التخمين أكثر منه على الحقيقة العلمية، فكون اللغتين من أصل واحد لا يُعدُّ دليلاً على ما يذهب إليه الأستاذ أحمد أمين، ولا يضير النحو العربي – أيضاً– أن

---

(49) أحمد أمين، ضحى الإسلام 245/2.

(50) شعبان عوض 266.

(51) شعبان عوض 267.

(52) أحمد أمين، فجر الإسلام 183

ينشأ في البصرة، أو الكوفة، أو غيرهما ما دام أن هذه الحاضرة، أو تلك من حواضر الدول العربية.

أما إبراهيم بيومي مدكور[53]، وجرجي زيدان[54]: فيريان أن أبا الأسود اقتبس الحركات الإعرابية من يعقوب الرُّهاوي الذي وضع نقطاً للإنجيل رآه أبو الأسود فنسج على منواله.

ومن المعلوم أن يعقوب الرُّهاوي توفي سنة 708م[55]، وهي تعادل سنة 90 للهجرة في حين أن أبا الأسود توفي سنة 69هـ[56] في طاعون الجارف؛ أي قبل وفاة يعقوب الرُّهاوي بعشرين سنة، فلِمَ لا يكون الرُّهاوي هو الذي أخذ نظام الحركات عن أبي الأسود؟ ولِمَ لم يقم السريانيون بضبط لغتهم قبل هذا التاريخ إلا إذا افترضنا أن الرُّهاوي هو الذي اطلع على ما صنعه أبوالأسود فنسج على منواله، ويتناسى هؤلاء –أيضاً– قولهم إن علي بن أبي طالب هو من أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع النحو، ومعلوم أن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قد قُتل على يد ابن ملجم عام 40 هـ أي قبل وفاة الرُّهاوي بخمسين عاماً، فكيف يصح بعد هذا زعم هؤلاء أن أبا الأسود قد تأثر بالرُّهاوي، وأخذ عنه النحو؟ والقول الآخر يذهب إلى أن زياد بن أبيه هو من دعا أبا الأسود لوضع النحو، وزياد هذا توفي عام 53 هـ، أي قبل وفاة الرهاوي بأربعين سنة، وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يرى أن من أمر أبا الأسود بوضع النحو هو الخليفة عمر بن الخطاب، وهذه المعطيات تعزز وبقوة القول بأن الرُّهاوي هو من اطلع على صنع أبا الأسود وأخذ عنه لا العكس، وهذا تماما ما صنعه اليهود الذين أخذوا هذا الضبط عن العرب حوالي سنة 725هـ واستفادوا منه غير أن اليهود يعترفون صراحة بأنهم استفادوا من هذا العلم الذي صنعه العرب، فلو كان لدى السريان نظام حركات وقتها لأخذه اليهود عنهم خصوصاً وأن الآرامية

---

[53] إبراهيم بيومي 341.

[54] جرجي زيدان 1 /251.

[55] يُنظر: دي بور 19، وأحمد أمين، فجر الإسلام 132، وعبدالرحمن السيد 98، وذهب جرجي زيدان في كتابه تاريخ آدب اللغة العربية إلى القول: بأن وفاة يعقوب الرهاوي كانت سنة 640م، وقد رد هذا الزعم الدكتور عبدالرحمن السيد في كتابه مدرسة البصرة.

[56] الزركلي (1374هـ– 1954م) الأعلام، مطبعة كوستا تسوماس وشركائه 6/3.

كانت اللغة التي كان اليهود يتحدثون بها قبل استعرابهم في القرن التاسع، وفي ذلك يقول موسى بن عزرا (أديب يهودي أندلسي من القرن الخامس للهجرة): "ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة ... تفهمت جاليتنا بعد مدة أغراضهم ولقنت بعد لأي لسانهم وتبرعت في لغتهم وتفطنت لدقة مراميهم وتمرنت في حقيقة تصاريفهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله إليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية"[57]

وذهب فريق آخر إلى القول بتأثير الثقافة الفارسية في نشأة النحو العربي، ودليله على ذلك صحبة الخليل لابن المقفع، وهذه "الصداقة لم تثبت، ولم تصح، والمصادر تشير إلى ما يُشعر بخلاف ذلك إذ تورد رغبة ابن المقفع بلقاء الخليل، وحدوث هذا اللقاء مرة واحدة[58] ولم يتكرر كما يبدو[59].

وإن سلمنا جدلاً بحدوث هذه الصحبة فهذا لا يعني أن النحو العربي تأثر في نشأته بما وصل الخليل من ابن المقفع سواء من اللغة الفهلوية، أم من غيرها؛ لأن نشأة النحو العربي لم تكن على يد الخليل، وإنما كانت على يد أبي الأسود كما هو ثابت.

وشبهة ترجمت ابن المقفع لمنطق أرسطو لم تثبت أيضاص فــ "قد أثبت بول كراوس مستنداً على المخطوط رقم (338) من مكتبة القديس يوسف ببيروت أن المُترجِم هو محمد بن عبدالله بن المقفع ابن الكاتب المشهور عبدالله بن المقفع"[60]

---

[57] مخطوط ذكره س. مونك في كتابه S. Munk, Notice sur Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah. : Journal Asiatique, 1850, tom. I, p. 29). عن أرشيف منتدى الفصيح،تم تحميله في: المحرم 1432 هــ = ديسمبر 2010 م .

[58] جاء في إنباه الرواة للقفطي قوله "واجتمع الخليل وابن المقفع ليلة بطولها يتذاكران، وافترقا، فسئل الخليل عن ابن المقفع فقال: رأيت رجلاً علمه أكبر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه" 380/1

[59] محمد حسين آل ياسين 93.

[60] علي سامي النشار (1971) نشأة الفكر الفلسفي، دار المعارف، مصر، ص 117.

ولم تحدثنا المصادر عن أي صحبة من أي نوع بين الخليل بن أحمد ومحمد بن المقفع، كما أنها لم تذكر لنا أنهما التقايا، وعليه فإن الزعم القائل بأن الخليل قرأ منطق أرسطو لا يستقيم.

ولعل أبرز الآراء تطرفاً هي تلك التي رأت أن النحو العربي قد تأثر في نشأته الأولى بمنطق أرسطو، وحجتهم في ذلك تقسيم الكلمة إلى: اسم، وفعل، وحرف، وصحبة الخليل لحنين بن إسحاق، ونشوء النحو العربي كاملاً ناضجاً على يد سيبويه دون أن تكون هناك مقدمات مقنعة – كما يقولون– لهذا العلم.

وهذا كلام تعوزه الدقة، ويفتقر إلى الدليل، والناظر في بدايات النحو العربي لا يصعب عليه اكتشاف زيف هذا الادعاء، وبطلانه، ونحن لا ننكر تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو، ولكن ذلك جاء في مرحلة متأخرة بعد أن استوى عود النحو، وأسست قواعده لا أنه كان السبب في ظهور هذا العلم كما يدعون، يقول الأستاذ ليتمان في محاضراته "ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً ... وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ... وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف، قال سيبويه: فالكلم اسم وفعل وجرف جاء لمعنى[61]، وهذا التقسيم أصلي، أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى: اسم وكلمة ورباط ... وسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات: اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما تُرجمت ولا نقلت"[62]، وعامة الحكاية[63] في كتاب سيبويه عن الخليل، وعن غيره من العلماء الذين سبقوا سيبويه، أو عاصروه، فابن أبي إسحاق (117هـ) هو " أول من بعّج النحو ومد القياس"[64]، والخليل بن أحمد (175هـ) هو "الغاية في القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله"[65].

---

(61) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1388– 1968) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر 12/1.

(62) محمد طنطاوي 15.

(63) يُنظر: أبو عبدالرحمن الأنباري 46، السيوطي، بغية الوعاة 558.

(64) القفطي 2/ 105.

(65) أبوعبدالرحمن الأنباري 45– 46.

فسيبويه إذاً لم يُخرج كتابه من العدم، ولا أوجده فجأة دون يكون له تمهيد، بل إن كتب التراجم تذهب إلى القول بوجود كتابين هما: الجامع، والإكمال لعيسى بن عمر[66] قبل كتاب سيبويه.

وتأثر النحو العربي في نشأته بالثقافة اليونانية، والمنطق الأرسطي أمرٌ يعوزه الدليل، فملاحظات النحاة الأوائل لم تكن تتعدى الملاحظات الوصفية[67] بعيدة عن التعليل والحجاج، بل إننا "لا نكاد نعثر في كتاب سيبويه وهو أول كتاب مدون وصل إلينا في النحو العربي، وعلى تعريف أرسطي لأي مضوع من المواضيع التي تناولها سيبويه في كتابه"[68].

يقول سيبيوه في تعريف الاسم "الاسم: نحو: رجل وفرس وحائط"[69] فهو يعرّف الاسم عن طريق التمثيل بعيداً عن التعريفات الجامعة في المنطق "فسيبويه يحدد الأشياء وفق استعمالات لغوية محددة قائمة على السماع الصحيح عن العرب"[70].

ويقول عند تقسيمه للكلام "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[71].

ويرى المبرد أن هذا التقسيم تقسيم عقلي تخضع له جميع اللغات يقول: "فالكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام عربياً كان، أو أعجمياً من هذه الثلاثة"[72].

فهل هذا التقسيم يدل على أن النحو العربي تأثر في وضعه بالمنطق الأرسطي، أو غيره من الثقافات إن هذا التقسيم كما يقول المبرد عام تخضع له جميع اللغات، وهو تقسيم عقلي طبيعي لا تختص به لغة عن لغة، ولا يدل في شيء على أن هذه اللغة أو تلك قد تأثرت بأختها في هذا

---

(66) أبو عبد الرحمن النباري 23.

(67) شعبان عوض العبيدي 273.

(68) شعبان عوض العبيدي274.

(69) سيبويه 12/1.

(70) شعبان عوض 274، 275.

(71) سيبويه 12/1.

(72) المبرد أبو العباس يزيد بن المبرد، المقتضب، محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان 13/1.

التقسيم، ثم إن "أرسطو تكلّم عن الاسم والفعل في كتابة المسمى (العبارة) ولكنه لم يتكلم عن الحرف، ولم يكن أرسطو يقسّم الكلمة عندما تحدث في كتابه العبارة، وتكلم عن الرباط عندما كان يتحدث عن الشعر"[73]، "وليس في لسان العرب لفظ على هذا النحو من الرباط وهو موجود في سائر الألسنة"[74].

وعلى ذلك فإن القول بتأثير المنطق في نشأة النحو العربي كلام تعوزه الدقة، نعم لقد "أثر المنطق في النحو العربي في طرق الحجاج والمناقشات والتهذيب"[75]، لكن هذا التأثير جاء متأخراً بعد أن وضع االنحو العربي وأُسست قواعده، وهو أمر طبيعي لا ينكر أحد.

أما صحبة الخليل بن أحمد لحنين بن إسحاق فإنها لا تصح، والغريب أن الأستاذ أحمد أمين قد ذهب هذا المذهب أيضاً، وهو الذي نص في كتابه ضحى الإسلام الجزء الأول على ولادة حنين بن إسحاق، ووفاته[76]، ونص في الجزء الثاني على ولادة الخليل بن أحمد ووفاته[77]، فحنين بن غسحاق ولد سنة(184هــ)[78]، والخليل بن أحمد مات سنة (175هــ)[79] وهذا يعني أن ولادة حنين كانت بعد وفاة الخليل بن أحمد بسبع عشرة سنة، فكيف تصح إذاً هذه الصحبة؟ وكيف يصح هذا اللقاء؟!

---

(73) شعبان عوض، 288– 289.

(74) ابن رشد (1982) تلخيص منطق أرسطو، تحقيق: جيرار جهامي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ص 88.

(75) عبدالرحمن السيد 101.

(76) أحمد أمين، ضحى الإسلام 1/ 283.

(77) أحمد أمين، ضحى الإسلام 2/ 284.

(78) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (1376–1956) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت، لبنان 148/2، وأجمد أمين، ضحى الإسلام 283/1.

(79) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1/ 460، وأحمد أمين، ضحى الإسلام 2/ 284.

ويورد ابن أبي أصيبعة في كتابه طبقات الأطباء خبر لقاء الخليل بن أحمد، وفي ذلك يقول: "أقام حنين مدة في البصرة وكان سيخه في العربية الخليل"[80]، وهو لا يستبعد أيضاً صحبة حنين لسيبويه؛ لأنهما كما يرى كانا في وقت واحد في زمن المأمون[81].

ويبدو أن ابن أبي أصيبعة قد نقل هذا الكلام دون تمحيص، فقد نص السيرافي في كتابه أخبار النحويين[82] على أن وفاة سيبويه كانت في زمن الرشيد، وأن المأمون لم يتولى الخلافة إلا بعد مقتل أخيه الأمين سنة (198هـ)[83]، وسيبويه توفي على الأرجح سنة (80هـ) فكيف يصح هذا الخبر؟ وهذا اللقاء؟

وإذا ذهبنا إلى ما قاله أحمد أمين، وشوقي ضيف من أن نسبة النحو إلى أبي الأسود الدؤلي هي من صنع الشيعة ضربنا بعرض الحائط قول من قال إن أبا الأسود تأثر بيعقوب الرُّهاوي في وضع النقط؛ إذ كيف أن نتخيل أن أبا الأسود قد تأثر بيعقوب إنْ لم يكن هو من وضع النحو أصلاً، وهو ادعاء على أية حال لا يقوم إلا على التخمين، ولا يستند إلى دليل علمي فهل يعقل أن نرفض نسبة نحو إلى أبي الأسود لمجرد تشيعه لعلي؟ وهل الشيعة هم نسبوا وضع علم النحو إلى أبي الأسود أم إنهم العلماء المحققون؟ إن ما يذهب إليه أحمد امين، والدكتور شوقي ضيف هو مجرد تخمين كما قلنا لا يستند على أي دليل علمي، بل على العكس فالحقائق العلمية، وإجماع العلماء على نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود تدفع هذا القول.

أما قضية تضارب الروايات فلا يمكن أن يُؤخذ دليلاً على زيفها، أو بطلانها، فإن لم يكن أبو الأسود هو من وضع النحو، فقد وضعه أحد تلاميذه، على أن أغلب الروايات تجمع، أو تكاد على صحة نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود، وتضارب الروايات "لا يعني أن ننسف القضية من

---

(80) ابن أبي أصيبعة 2/ 139.

(81) ابن أبي أصيبعة 2/ 145-146.

(82) السيرافي أبو سعيد الحسن بن علي (1374- 1955) أخبار النحويين البصريين، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ص50.

(83) ابن كثير الدمشقي (1966) البداية والنهاية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 10/ 240.

أساسها"[84]، واعتماد هذه الروايات في نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود أجدر، وأولى من ترديد ما قاله المستشرقون دون تمحيص، أو تدقيق.

وقد وردت هذه الروايات في كتب التراجم، وكتب أخرى قريبة من زمن وضع النحو، ولم نجد أيًّا منها يشير إلى وجود تأثير للثقافات الأجنبية في وضع هذا العلم، ولم يؤثر عن أحد من النحاة العرب أنه ذهب لتلقي أصول هذا العلم من اليونان، أو غيرهم، بل الثابت والذي لا مراء فيه أنهم اتجهوا إلى القرآن الكريم، وإلى الأعراب في البادية يشافهونهم ويأخذون عنهم لوضع أسس النحو.

ويرى جولد فايل أن هذه الروايات – التي ينكرها ويشكك فيها هؤلاء البحّاث- "حفظت لنا ... وصفاً لمسلك نمو هذا العلم الذي هو أجدر العلوم أنْ يُعدُّ عربياً محضاً"[85].

هذه أبرز الآراء التي تنكر نسبة وضع النحو إلى الفكر العربي، وهي آراء متصاربة لا تكاد تجمع على رأي واحد يمكن الوثوق به، وهي كذلك آراء يعوزها الكثير من الدقة، والإنصاف، وينقصها الدليل، ولا تثبت عند التمحيص، والتدقيق.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن أن نخرج من هذا البحث بالنتائج التالية:

1- إن قضية تأثر النحو العربي في نشأته بالثقافات الوافدة نشأت على مرحلتين، المرحلة الأولى قاد لواءها المستشرقون، والمرحلة الثانية قادها بحّاث عرب، وهي اجترار لما قاله المستشرقون.
2- إن أغلب هذه الآراء يعوزها البحث الدقيق، والدليل العلمي، وأنها في كثير منها تقوم على التخمين، والتخيل، وإلقاء الشكوك هنا وهناك من غير تدقيق، أو تمحيص.

---

[84] شعبان عوض 49.

[85] عبدالرحمن السيد 104.

3- إن المشككين في نسبة النحو إلى الفكر العربي بنو أفكارهم وآراءهم على أحكام مسبقة، وقاعدة مسلمة، وهي أن الفكر العربي غير قادر على إنتاج مثل هذه العلوم، ومن ثمّ أصبح همهم البحث عن المؤثر، أو السبب في وضع النحو في الروافد الأجنبية بغض النظر عن صحة هذه الفكرة من عدمها.

4- إن قضية نشأة النحو العربي لم قضية مزاجية وقع عليها بعض العلماء؛ لأنهم رأوا نحواص في الأمم الأخرى فأرادوا أن ينسجوا على منواله، وإنما هي قضية تخص عقيدة أمة، فاللحن الذي وقع، والذي كان سبباً في وضع النحو وقع في القرآن الكريم مصدر تشريع هذه الأمة وعقيدتها، فلم يكن وضعه مجرد هوى أو مزاج.

5- إن النواة الأولى لنشأة النحو كانت نقط المصحف، ولا غرابة في ذلك فالدراسات اللغوية، وعلى رأسها النحو قامت حول القرآن الكريم عقيدة هذه الأمة، ودستورها.

6- إن علماء العربية الأوائل رحلوا إلى البادية- ؛ لمشافهة الآعراب،والأخذ عنهم، ولم يرحلوا إلى بلاد السريان أو اليونان، أو غيرهما من بلاد العجم- لإرساء قواعد هذا العلم.

7- إن نشأة النحو العربي كانت نشأة عربية خالصة، فلم يكن للثقافات الوافدة، أو علوم الكلام دَخْلٌ في نشأته، أو توجيهه، ولم يحدث التأثير إلا في وقت متأخر كانت فيه معالم النحو العربي قد برزت، واتضحت.

والحمد لله رب العالمين الذي بحمده تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على محمد وآله.

المصادر

ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مكتبة خياطر، بيروت، لبنان.
محمد حسين آل ياسين (1400هـ–1980م) الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
أبوالبركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء الأنباري (1405هـ– 1985م) نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: دكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة .
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة إلى أخبار النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب والثقافة، بيروت، لبنان .
أبوعمرو عثمان بن سعيد الداني (1379هـ– 1960م) المحكم في نقط المصحف، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، سوريا.
محمد بن الحسن الإشبيلي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية.
محمد مصطفى الشعبيني(1974) دراسات في علن الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.
عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة.
دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمه وعلق عليه، محمد عبدالهادي، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الخامسة.
إبراهيم بيومي مدكور (1953) بحث بعنوان (منطق أرسطو والنحو العربي) مجلة مجمع اللغة العربية .
أندرو سيرفر (Andre Srevier) (1375– 1975) مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 24، السنة الرابعة.
ديلاس أوليري، الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
شعبان عوض العُبيدي (1989) النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا.
أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة .
شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة، ص 15.
محمد طنطاوي (1995) نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان.
جرجي زيدان (1957) تاريخ آداب اللغة العربية ، راجعه وعلق عليه، شوقي ضيف، دار الهلال.
زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرفها، دار الثقافة، القاهرة، مصر.
أحمد أمين (1933) فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
الزركلي (1374هـ– 1954م) الأعلام، مطبعة كوستا تسوماس وشركائه
مخطوط ذكره س. مونك في كتابه .S. Munk, Notice sur Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah :
Journal Asiatique, 1850, tom.
علي سامي النشار (1971) نشأة الفكر الفلسفي، دار المعارف، مصر.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1388– 1968) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة.

المبرد أبو العباس يزيد بن المبرد، المقتضب، محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان .

ابن رشد (1982) تلخيص منطق أرسطو، تحقيق: جيرار جهامي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان.

ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (1376–1956) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت، لبنان .

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

السيرافي أبو سعيد الحسن بن علي (1374– 1955) أخبار النحويين البصريين، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى.

ابن كثير الدمشقي (1966) البداية والنهاية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى